ظاهرة التضاد في شعر أبي القاسم الشابي

الدكتورة: ليلى سهـل

قسم الآداب واللغة العربية

كلية الآداب واللغات

جامعة محمد خيضر – بسكرة– الجزائر

الملخص

اتّسمت اللغة العربية الفصحى من بين سائر اللغات السامية الأخرى بخصائص تفرّدت بها، تجلّت فيها مكانتها وقدرتها على التّعبير، فشرّفها الله تعالى بأن جعلها لغة القرآن، فهي تعتبر أوسع اللغات السامية ثروة في أصول الكلمات، ولا نظير لها في أخواتها، ومن بين هذه الخصائص الثابتة في اللغة العربية: التضاد، والذي سيتم تناوله في هذه الدراسة ، مع الإشارة إلى كيفية تجليه في شعر أبي القاسم الشابي.

Abstract:

Classical Arabic is characterized among all other Semistic languages; its characteristics are unique to them which reflected the prestige and ability for expression So God (Allah) has honored it as the language of Quran also it is broader than the other Semistic languages in the asset of words and unparalleled with the other languages.

Amongst these fixed characteristics in Arabic language there is antagonism that will be addressed in this study, with reference on how it manifest in the poetry of Abu El Kacem Chebbi.

المنارة للاستشارات

تدرس في الدّرس اللغوي الحديث مصطلحات (الترادف، المشترك اللفظي، التضاد) في إطار نظري واحد يطلق عليه علماء اللغة (نظرية العلاقات الدلالية Semantic relation) وهي نظرية حديثة نسبيا في ميدان الدراسات اللغوية، تتصل بتعدد دلالة الكلمة وغموضها[1]، فهي خاصة بمفردات اللغة خارج إطار السياق الذي ترد فيه، وهي تتّصل مباشرة بوسائل النمو اللغوي الدلالي، لأنّ العلاقات بين المفردات تولّد دلالات متنوعّة من خلال تقابلها وترابطها مع بعض، بما يمكّننا من الوقوف على الحقل الترابطي المعيّن لمجموعة من الكلمات، سواء أكان هذا الحقل الترابطي ترادفا، أو اشتراكا، أو تضادا، أو تقابلا أو غير ذلك[2].

وكما ينظر عادة إلى العلاقات التي تجمع أطراف النص أو تربط بين متواليات (أو بعضها) دون بدوّ وسائل شكلية تعتمد في ذلك عادة، على أنها علاقات العموم والخصوص المجمل والمفصّل، التضاد والترادف... الخ. وهي علاقات لا يكاد يخلو منها نصّ، يحقق شرط الإخبارية ،مستهدفا تحقيق درجة معينة من التواصل، سالكا في ذلك بناء اللاحق على السابق، بل لا يخلو منها أي نص يعتمد الربط القوي بين أجزائه. بيد أنّ النص الشعري مادام نصّا تحكمه شروط الإنتاج والتّلقين، فإنه لا يتخلىّ عن هذه العلاقات، وإنّما الذي يحصل هو بروز علاقة دون أخرى[3].

وذلك من أجل بيان النظام الذي يتحدّد بعناصر النّص المجتمعة، ومن ثم إعطاء هذا النظام شيئا من العقلانية، باعتبار أنّ لغة النص الأدبي نظام قائم بذاته ومقفل على نفسه. وبناء عليه فإنّ النص الأدبي يرتكز في بنائه على مجموعة من العلاقات الدلالية التي تتجلىّ بين متواليات، وتتلاحم في بناء منطقي محكم، سواء أكان ذلك في مستوى البنية السطحية أم البنية العميقة.

كما تخضع القصيدة لنظام دقيق من العلاقات يربط بين محاورها ومستوياتها، وتتولد منه الدلالات وتتكامل بفضله، ويبطل بعضها بعضا. والعلاقات على تنوّعها، تتّفق على مسعى لغوي واحد،وهو الكشف عن الوشيجة الترابطية للقصيدة، وذلك باستخراج هذه العلاقات في بناء النص[4].

وإذا كانت الدلالة الكلية لنظام البنية هي ما يشدّ العناصر المكوّنة إلى مركز واحد ،وهي كما يصوّرها البنويون أشبه ما تكون بأسلاك عجلة الدرّاجة التي ترتبط جميعها بنقطة رئيسية

المنارة للاستشارات

في مرتكز دائرته. فإنّ النص الشعري يتميّز بأنّ فيه بؤرا أخرى تختلف من حيث أهميتها. فإذا كان العنصر ذا هيمنة وقوة فاعلة، فإنّه يصنع دائرة خاصة، ولكن الدوائر تنتمي إلى المحيط الذي يشملها جميعا، وليس شرطا أن تكون العلاقات بين دوائر النص أو عناصره قائمة على التوافق، بل قد يبنى النظام على التناقض بين الأجزاء. وتشترك علاقات التماثل والتناقض في صناعة النظام على نحو متساوٍ، وقد تزيد إحداهما على الأخرى، فينطبع النص بطابعها. ويبدو أنّ العلاقات في بعض النصوص تتّسم بالتعقّد إلى درجة أنّ المحلّل يعاني معاناة كبيرة في سبيل كشف نوعية العلاقات وتحديد معالمها، وهذا يحتاج إلى ثقافة معرفية،أو خبرة جمالية ومرونة و حركية في التطبيق يكتسبها من الدّربة والمران على مقاربة النصوص الشعرية.

ولم يعد الخطاب الشّعريّ المعاصر يقبل المباشرة والتّتابع المنطقيّ والمحاكاة الجادّة للأحداث، بل صار مرآة للضبابية وعدم المنطقية وبناء جديد للوقائع؛ لذا تعمّد الشعراء تقريب المتباعد، والتّأليف بين المتنافر، وجمع المتضادّ في قالب لغويّ خاصّ يسمح به نوع خاصّ من النّصوص، إنّه النّص أو الخطاب الشعريّ، فينصبّ تركيزنا في هذا السياق على ظاهرة التضاد ،لنستشف أثرها في ربط أفكار النص والتأليف بين معانيه.

1/ مفهوم التضاد:

جاء في "القاموس المحيط" "للفيروزآبادي"(ت817هـ)[5]، الضِّدُ بالكسر، والضَّديدُ: المثل، والمُخالفُ ضدٌ، ويكون جمعا، وضدَّهُ في الخصومة:غَلَبَهُ، وعنه: صَرَفَهُ ومنَعَهُ بِرِفْقٍ بنو ضِدٍّ، بالكسرة: قبيلة من عاد، وضادَّهُ: خالفه، وهما متضادَّان".

ونقل "ابن سيّده" (ت 408هـ):« الضدّ ضربا من الخلاف ،وإن لم يكن كل الخلاف ضدا» [6] ،وقد عدّ بعض العلماء الأضداد نوعا من المشترك اللفظي بدلالة بعض ألفاظه عن المعنى وضده[7]، فكل تضاد مشترك لفظي وليس العكس.

2/ أنواعـه:

ينقسم التضاد إلى نوعين: نوع يجيء بلفظين مختلفين في معنيين متضادين،
ونوع يجيء في لفظ واحد ليدل على الشيء وضده: [8]

أ–**التضاد باختلاف اللفظ:** وهو النوع المعروف المألوف المستعمل كثيرا في اللغات لسهولة مأخذه ومطابقته الظواهر والأشياء التي غالبا ما تحوي في ذواتها معاني متعاكسة .

المنارة للاستشارات

"فالظلام" ضد "النور"، و"الشر" ضد "الخير"، و"الفرح" ضد "الحزن"، و"الجوع" ضد "الشبع" و"القبح" ضد "الحسن"، و"عصى" ضد "أطاع"، و"كره" ضد "أحب"، و"قام" ضد "جلس"، و"بعد" ضد "قرب"، و"حي" ضد "مات"...الخ، إلى غير ذلك من الأزواج المركّبة من متباينين ، إذا حضر أحدهما غاب الآخر بالضرورة.

ولا ريب في أنّ هذا النّوع كثير في اللغة، لأنّ وضعه أيسر، ومأتاه اختلاف لفظيه وتضادّهما في المعنى، بحيث لا يمكن اجتماعهما قط، للدلالة على شيء واحد في زمان واحد، فالتضاد في مثل: "الحرام" و"الحلال" كائن في احتمال الأمر للنقيضين. والنقيض أوالمعاكسة ظاهرة وجودية كالحياة والموت، وخلقية كالصدق والكذب، ولغوية كفعل ولم يفعل ذائعة في كل المجتمعات البشرية، والشرط الواحد في النقيضين المتمانعين بالذات كالإيجاب والسلب، ألا يجمعهما بوجه واحد.

ب- **التضاد باتّحاد اللفظ:** هو نوع من المشترك ، فالكلمة الواحدة في العربية قد تؤدّي دلالات مختلفة كالمشترك اللفظي، وقد تؤدي معنيين متضادين "كالجلل" للعظيم والهين اليسير، و"المسحور" للمملوء والفارغ و"الرهو" للارتفاع والانحدار.

3/ آراء العلماء في التضاد:

لقد اختلف علماء اللغة في التضاد كما اختلفوا في ظواهر لغويةٍ أخرى. فقد كانت هذه الظاهرة مثار جدل حادّ بينهم، فتعدّدت آراؤهم، وتباينت مذاهبهم في شأنها، فمنهم من أنكره ومنهم من أثبته، ومنهم من ضيّق فيه ومنهم من وسّع. أما المنكرون له فهم قلّة وعلى رأسهم أحد شيوخ ابن سيّده، وقد قال في كتابه "المخصص": « وكان أحد شيوخنا ينكر الأضداد،التي حكاها أهل اللغة »[9] . فليس في كلام العرب ضد، لأنّه لو كان فيه ضد لكان الكلام محالا،لأنّه لا يكون الأبيض أسود والأسود أبيض، وكلام العرب إن اختلف اللفظ فالمعنى يرجع إلى أصل واحد.

وقد ألّف "الآمدي"(ت370هـ) كتابا في إنكار الأضداد سماه "الحروف من الأصول في الأضداد". "وابن درستويه" ألّف كتابا في إبطال الأضداد ، وأشار ابن درستويه إلى هذا الكتاب في موضعين من (التصحيح)،ونقل منه شيئا في تعزيز ما ذهب إليه. "فابن درستويه" يعدّ من أشدّ المعارضين لوجود الأضداد، ذلك، أنّ القول به يجعل اللغة مبهمة غير واضحة ولذلك ألّف كتابا ينكر فيه ذلك ،سمّاه "إبطال الأضداد" ، فالتّضاد مؤدّ لتغطية وتعمية المعنى

المنارة للاستشارات

وحجبه عن القارئ ، وما دام واضع اللغة حكيما، فإنه لم يضع اللفظ لضدين. فظاهرة التضاد تعتبر أكثر الظواهر التي دار حولها النقاش والجدل بين المهتمين بالدراسات اللغوية ،فتعدّدت فيها الآراء واشتدّت حولها الخلافات.

وأما المثبتون للتضاد فهم أكثر أهل اللغة، منهم "الخليل ابن أحمد" و "سيبويه" و"أبو زيد الأنصاري"، و"ابن فارس" و"ابن سيّده"، و"الثعالبي"، والمبرّد"، و"السيوطي" وبعضهم ألّف فيه مثل: "قطرب"،"الأصمعي" و"ابن الأنباري".

ويعدّ كتاب "ابن الأنباري" (ت328هـ)"الأضداد " أشهر الكتب التي ألّفت في هذا المجال،حيث ردّ على منكري الأضداد، بقوله:« إنّ كلام العرب يصحّح بعضه بعضا، ويرتبط أوله بآخره، ولا يعرف معنى الخطاب منه إلا باستيفائه، واستكمال جميع حروفه، فجاز وقع اللفظة على المعنيين المتضادّين، لأنّه يتقدّمها ويأتي بعدها ما يدلّ على خصوصية أحد المعنيين المتضادّين دون الآخر"[10].

وأما المحدثون من علمائنا، فالاتّجاه العام الذي ينتظم معظمهم هو الاعتراف بالتضاد ضمن حدود وضوابط تخرج كثيرا من الأمثلة التي روتها كتب اللغة من إطاره، وتبقي على بعض من هذه الأمثلة على أنّها من التّضاد.

يرى الدكتور "علي عبد الواحد وافي" « أنّ من التعسّف إنكار التّضاد ومحاولة تأويل أمثلته جميعا تأويلا يخرجها من هذا الباب ... وذلك أن بعض أمثلته لا تحمل تأويلا من هذا القبيل ،حتى أنّ "ابن درستويه" نفسه وهو من المنكرين للتّضاد اضطرّ إلى الاعتراف بوجود النادر من تلك الألفاظ .فلو جاز اللفظ الواحد الدلالة على معنيين مختلفين أو أحدهما ضد الآخر، لما كان ذلك إبانة بل تعمية وتغطية.»[11].كما يرى الدكتور "ربحي كمال" هذا الرأي نفسه وعباراته فيه تكاد تتطابق مع عبارات الدكتور "صبحي الصالح" الذي قال :«على أننا لن نذهب مذهب "ابن درستويه" في إنكار التضاد إطلاقا، فإنّ قدرا منه ولو ضئيلا لابدّ من التسليم به ،ولكنّنا في القدر الذي ننكره ونؤوّله تأويلا آخر مناسبا للسياق،نجد أنفسنا طوعا أوكرها أمام كلمات حفظ لنا فيها معنى التعاكس»[12].

أما الدكتور "إبراهيم أنيس" فيبدو رأيه في التّضاد أشبه برأي "درستويه" الذي أنكره ولم يعترف إلا بالنادر من الأمثلة، فهو يرى أنّ ما روي عن الأضداد من الشواهد يعوز أكثره النصوص الصريحة القوية، وحين نحلّل أمثلة التضاد في اللغة العربية ونستعرضها جميعا، ثم

المنارة للاستشارات

نحذف منها ما يدل على التكلف والتعسف في اختيارها، يتّضح لنا أنّ ليس بينها ما يفيد التضاد بمعناه العلمي الدقيق، إلا نحو عشرين كلمة في كل لغة. ومثل هذا القدر الضئيل من كلمات اللغة لا يستحق عناية أكثر من هذا، لاسيما مصير كلمات التضاد إلى الانقراض من اللغة،وذلك بأن تشتهر بمعنى واحد أو بمعنيين مع مرور الزمان[13].

أما المحدثون الغرب فلم يولوا اهتماما ملحوظا ،اللهم إلا ما يأتي عرضا عندهم مثل "ستيفن أولمانStiven Ulman":« من المعروف أن المعاني المتضادة للكلمة الواحدة قد تعيش جنبا إلى جنب لقرون طويلة بدون إحداث أي إزعاج أو مضايقة»[14].

وأخذ التضاد عند المحدثين مفهوما مختلفا للكلمة الواحدة عن المفهوم القديم، فالتضاد عندهم يعني وجود لفظين يختلفان نطقا ويتضادان معنى. والخاصية الأساسية لكلمتين بينهما تضاد أنهما يشتركان في ملمح دلالي واحد .وهناك ملمح دلالي لا يشتركان فيه، يكون موجودا بإحداهما وغير موجود بالأخرى .

وقد قسم اللغويون المحدثون التّضاد إلى أنواع متباينة[15]، فنجد « J.Lyons » يفرّق بين التّضاد الحادّ مثل (حي – ميت) (متزوج – أعزب) ،والتّضاد المتدرّج وهذا النوع من التضاد نسبي مثل: (ساخن – بارد) ،فإن هناك درجات من السخونة والبرودة متعدّدة تجعل التضاد نسبيا. وهناك التضاد العكسي، الذي يظهر بين أزواج الكلمات مثل: (باع –اشترى) (دفع – أخذ)، وهناك التضاد الاتجاهي الخاص بالاتجاهات (أعلى – أسفل) (فوق– تحت)... الخ، وهناك أيضا التضاد العمودي: (شرق– غرب)، (شمال – جنوب).

يأتي دور التضاد في بناء الجملة الشعرية ، و يحمل موقف الشاعر"أبو القاسم الشابي" المتردّد بين اليأس والأمل، أو الرائي لتناقضات مجتمعة في حياته، كما يحمل عدة دلالات تكشف عن التناقض ، أو التلاحم بين المتناقضات، وكشف الحيرة والتردد أو التمرّد واللامبالاة، أو البحث عن الأمل وبعثه عن طريق المقارنة والمفاضلة.فمثلا لفظ" البلاء " استخدمه بمعنى واحد هو المصائب أو النقمة والمحنة فقال :

أيها الحُبُّ أنت سِرُّ بَلائِي وهُمومي ورَوْعتِي وَعَنائِي

ونحولي ، وأدمعي ، وعذابي ، وسقامي، ولوعتي، وشقائي [16]

وهذا اللفظ من الأضداد يستخدم بمعنى النعمة، والمحنة والنقمة. يلفتنا هذا الحشد اللفظي في المطلع إلى أنّ في نفس الشاعر احتقانا كبيرا، لا تتوقّف تفجّراته العاطفية. والحبّ

المنارة للاستشارات

هنا تمثيل بكلّ ذراعين مراهقتين تودّان احتضان الوجود ، فيعادل الحبّ في القصيدة المعرفة الحقيقية للحياة، والامتلاء بالأجوبة المقنعة التي تضيء أسرارها، فنجد الشاعر يبني قصيدته على الصور المتقابلة المتضادة ، ليخرج في النهاية بتشكيل جمالي يصوّر موقفه من موضوع شعره ، أو من إحدى الظواهر الطبيعية أو الاجتماعية ، فنجده يسأل الحب، ويستجوبه ليعرض من خلال السؤال والاستجواب حيرته وقلقه ، واضطراب موقفه ورؤيته لهذا الحب ويتّهمه بأنّه سر شقائه وهمومه وتعبه وفزعه ،ثم إنه متعب بلوعته. ثم أعقب هذه الصورة التي قدّمها بصورة أخرى مشرقة يقول فيها:

أيُها الحُبّ أنت سرّ وجُودي وحَياتي ، وعزّتي ، وإبائي
وشُعاعي ما بين ديجور دهري وأليفي، وقرّتي ورجائي[17]

ثم عاد إلى عرض الموقفين (الصورتين) مرة واحدة في قوله:

يا سُلاف الفؤاد ، ياسرّ نفسي في حياتي ، ياشدتي ، يا رخائي[18]

وبعد أن عرض كل موقف على حدة ، جمعهما في بيت واحد ، عاد إلى الصّور المتضادّة داخل البيت ، ولكن في صيغة السؤال، ليعكس الحيرة والمرارة :

ألهيب يثور في روضة النّفس فيطغى، أم أنت نور السّماء؟
ليت شعري ،يا أيهاالحبّ ، قل لي من ظلام خلقت أم من ضياء؟[19]

فيكرّر الدّلالات من خلال صور شعرية تعتمد عل علاقات جديدة ، تتابع فيها الصّور الشّعرية المتضادّة ،(ظلام–نور–ضياء) التي تكوّن الموازاة الرّمزية،والتّشكيل الجمالي لموقف الشاعر الحائر والمتردّد والمضطرب.والشاعر حين يقارن، ليفضل صورة على أخرى كأن يقارن بين الموت والحياة الذّليلة ، ليفضّل الموت، فإنّه يكون في موقف يدعوه إلى بناء التّضاد. حيث قال:

قد أضاعَ الرشادَ في ملعب الجنّ فيا بؤسَهُ أُصيبَ بمسّ [20].

والجن يطلق على 'الجنّ والملائكة' [21]، ولم يستخدمه إلا لمعناه الأول، والجون استعمله بمعنى الأسود، فقال:

خُذْنِي فقد أصبَحتُ أرْقبُ في فضاكَ الجَون فجري [22]

ومثال ذلك أيضا قوله:

كم فتاةٍ جَميلةٍ مَدَحوها وَتغنَّوا بها لكي يُسقِطوها

المنارة للاستشارات

فإذا صَانتِ الفَضيلة عابُوها وإن باعتِ الخنا عَبَدوهَا [23].

فالتضاد بين(الفضيلة – الخنا) يعكس خلل المجتمع من ناحية، وسخرية الشاعر من الحضارة في زمنه من ناحية ثانية، حيث أصبحت تحترم المنكر وتقدّسه وتَحطّ من شأن الفضيلة وتنقصها.

وقوله:

فَوَجدتُ أعرَاسَ الوُجُودِ مآتما وَوَجَد ت فردَوس الزما ن جَحيما

يتلو أقاصيصَ التعاسةِ والأسى ويُصيرُ أفراحَ الحياة هُمُومًا [24].

فالشاعر وظّف الطباق(أعراس ، مآتم)،(التّعاسة،الأفراح) ليصوّر رؤيته لواقعه المتناقض ، وبالتالي عكست تشاؤمه من الواقع ،إذ أعَدَّ أعراس الوجود مآتما، وأفراح الحياة ليست سوى مآتم وهموم، فهذا التناقض الذي يصنعه الشاعر ما هو إلا صورة للحاضر والمستقبل المظلم [25].

وقال:

ونسِينا الحيَاة والمو ت والسّكونَ وما فيهِ مِنْ مُنى ومَنون[26].

الحياة ضدّ الموت، والمنى ضدّ المنون، والشاعر ينسى الحياة والموت، وهذا يعني أنّهما عنده سيان، ليعكس من خلال هذين اللفظين تشاؤمه من الحياة، فلا يمكن أن يتساوى الموت معها ، إلا إذا كان الموت خلاصًا من بؤسها.

وقال :

هَهُنَا تَهتِفُ أصداءُ الفَنا ههنا تعزَ ف أَلحانُ الخُلُود [27].

إنّ التناقض بين"الفنا – الخلود" إذ يتحاور الموت والحياة، على تواصل ،وتتلاقى الأتراح والأفراح تحوّلا من الزمن المائت بانقضاء، إلى الزمن الباقي عن طريق الشعر.

وقال أيضًا :

ليتَ شِعري !يا أيُّها الحبُّ، قل لي: مِنْ ظلام خُلِقت ، أم مِنْ ضياءِ؟[28].

نلاحظ في اللفظين "ظلام ،ضياء" ما يذكّر بأكثر من معنى ديني أو خلقي ، ففي الظلام ظلُّ الخطيئة والسّر المستغلق والظلم، كما في الضياء لون الطهارة والعفوية الواضحة والغبطة الداخلية العارمة.

وقال:

المنارة للاستشارات

بِالأَمسِ قَد كَانَت حَيَاتِي كالَسَّماءِ البَاسِمه
واليَومَ، قَد أَمسَتْ كَأعمَاقِ ا لكُهوفِ الواجمهْ [29].

الشاعر يصف ماضيه الباسم بالأمس، وحاضره الواجم المظلم باليوم، فالطباق يعكس واقعه الحاضر البائس. حيث فطن الشاعر أنّه يبكي أمسه الذي ولّى بمن كان حبيبه، وتسيل دموعه على خدّه حارّة تحرق قلبه ، وتذبل فؤاده ، وتكاد تزهق روحه من جسده .

وقال أيضًا:

ورْدُ الحياةِ مُرَّنقٌ والموت مَورِدُهُ مَعين [30].

الشاعر في تناقض شديد، يعيش بين الحياة المعكّرة، والموت المعين المورد، إنه يقارن بين حالتين ليفضّل الموت الذي سيريحه، فالحياة موردها معكّر، والموت مورده صافٍ. فالجملة الشعرية قائمة على التناقض بين الموت والحياة .

وتشتد ضغوط المتناقضات على إحساس الشاعر وكيانه، فتتفجّر نفسه بالمآسي القائمة على التمزّق والشعور بالألم والحرمان.

أصْغِي لموسيقى الحياةِ، ووحْيِها وأُذيبُ روحَ الكوْنِ في إنْشائي
وأقول للقدر الذي لا ينثني عن حرب آمالي بكل بلاء
لا يطفيء اللّهب المؤجّج في دمي موج الأسى ، وعواصف الأرزاء
واملأ طريقي بالمخاوف ، والدّجى، وزوابع الأشواك ، والحصباء
و أَنشرُ عليه الرُّعبَ، وأَنْثر فَوقَهُ رجمَ الرَّدى، وصواعِقَ البأساءِ [31]

تقع أعيننا على تضاد بين الحياة، الرَّدى . فيعني الشاعر بالرَّدى: الموت الذي لا رجعة فيه، حيث لا انبعاث في هاته الدنيا.

وقال أيضا:

يا ليْت شِعري ! هلْ لِلَّيل النفسِ منْ صبحٍ قريبْ؟ [32]

نلاحظ التضاد العكسي بين كلمتي (لليل، صبح) ، فالليل يدلّ في بعض القصائد على الاستعمار الذي يستوطن البلاد، أما الصبح فيدل على الحرية والاستقلال عند بعض الشعراء الموهوبين.فالتعجب هنا يفيد معنى الحسرة.

و من أمثلة التضاد الاتجاهي التي عثرنا عليها في قصيدة(نشيد الجبّار):

سأَعيشُ رغمَ الدَّاءِ والأعْداءِ كالنّسرِ فوق القمّة الشماءِ

المنارة للاستشارات

وأقول للجمع الذين تجشموا هدمي ، وودّوا لو يخرّ بنائي
فارموا إلى النّار الحشائشَ، والعَبُوا يامعْشرَ الأطْفالِ تحتَ سمَائِي [33]

نستشف التضاد الاتجاهي بين كلمتي (فوق، تحت) وهما متضادتان اتجاهيا. والناظر لأشعار الشابي يجده دائما يريد تحقيق أماني وطموحات عديدة، ولكن هذه الطموحات تتّسم باللامحدودية، على الرغم من المرض الذي لازمه والحياة المؤلمة التي عاناها وكابدها وقال في(قصيدة نشيد الأسى) ناعيا على الطبيعة فرحها ، فيما هو لحزن وانقباض :

يا كَوكَب الشَّفَق الضَّحُوك وأنتَ مبتَهل الكئيب
لح في السماءِ، وغنّ أبناءَ الشقاوةِ والخُطوبْ
فـي الأرضِ أقدامُ الرَّبيعِ تُلاَمِسُ السّهل الجَديب[34]

نجد التضاد الاتجاهي بين السماء، الأرض ، فالشاعر الرومانسي يقصد بالسماء العلوّ،والأرض يريد بها الانخفاض . أما فيما يخصّ قصيدة "غرفة من يمّ" على قول شاعرنا الرومانسي :

والنّاسُ شخصانِ، ذا يَسعى به قدمُ من القُنوطِ، وذا يَسعى به الأمَل
ففي التَماجُدِ تمويهٌ، وشعوذةٌ، وفي الحقيقةِ ما لا يُدركُ الدّجلُ [35]

فالتضاد في البيت الأول يظهر بين القنوط والأمل، فيراد بالقنوط: اليأس، أما في البيت الثاني فوقع بين كلمتي الحقيقة، الدجل، فالدجل هو الكذب. و في قصيدة (يا شعر) قال:

يا قَلبُ، لا تَجْزعْ أَمَامَ تَصَلّبِ الدَّهرِ الهَصُور
فَوَرَاء أَوجَاعِ الحَيَاةِ عُذُوبةُ الأملِ الجسورْ [36]

والتضاد هنا بين الظروف المكانية أمام، وراء وهذا يسمّى بالتضاد الاتجاهي. ورأينا أنّ التداخل الحاصل بين الخفّة الغنائية ، والومضة الحكمية التعليمية ، تضعّف جماليات الشعر هنا، إذ تمنحه بعدا خلقيا إنسانيا ، يتلاءم والقيمة التي يصبو إليها الناس في كل العصور.

هذه هي علاقة التضاد التي تميّزها صور التقابل والتنافر، والصراع والتجاذب والتوتر الناتج عن تناطح كتلتين أو نزعتين ، وهو من أهم الوسائل المولّدة لدينامية النص، وتجسيد الصراع والتعارض بين القوى البشرية، ومصالحها في الواقع، ولعلّه ناتج عن ولوع الشاعر بالتنافر بين

المنارة للاستشارات

عناصر الصورة في الواقع، بحيث يكون الأثر النفسي لأحد طرفي الصورة مناقضا لأثر الطرف الآخر.

ومن خلال هذا التحليل التمسنا محاولة التّعرف على طبيعة علاقة التضاد وكيفية بنائها وصياغتها وتركيبها، وإلى أي مدى استطاع الشاعر أن يوفّق في بنائها، ليجعل منها أداة فاعلة عاملة على ترابط النص الشعري، وأن يوظّفها توظيفا دقيقا، لتصبح أداة جمالية تحرّك فضاءه.

الإحالات والهوامش:

(1) ينظر :حلمي خليل، مقدمة لدراسة فقه اللغة، دار المعرفة الجامعية، الأزاريطة، د ط،مصر، 2005، ص175.

(2)ينظر :هادي نهر، علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي، عالم الكتب الحديث، ط1،عمان ، الأردن، 1429 هـ ،2008 م، ص399.

(3) ينظر : محمد خطابي، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب ، المركزالثقافي العربي، ط1 ،بيروت ،1991، ص 269.

(4)ينظر :عبد القادر عبد الجليل، التنوعات اللغوية، دار صفاء للنشر والتوزيع، ط1،عمان، 1997، ص 334.

(5) الفيروزآبادي، القاموس المحيط ، تحقيق مجدي فتحي السيد ، المكتبة التوفيقية للطباعة، ج3،القاهرة ، مصر ، ص375.

(6) أبو الحسن علي بن إسماعيل (ابن سيده)، المخصص، دار الكتب العلمية، د ط،بيروت، لبنان، د ت، مج12، ص259.

(7) ينظر :محمود عكاشة، الدلالة اللفظية، مكتبة الإنجلومصرية ، دط، القاهرة ، 2002 ص72.

(8) ينظر : زبير دراقي، محاضرات في فقه اللغة، ديوان المطبوعات الجامعية ، بن عكنون،الجزائر، ط2، 1994م ص112.

(9) ابن سيده، المخصص، مج12، ص259.

(10) الأنباري محمد بن قاسم ، كتاب الأضداد، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، الكويت، 1960 ، ص 02، والسيوطي، المزهر،ج1، ص312-313.

المنارة للاستشارات

(11) علي عبد الواحد وافي، فقه اللغة، نهضة مصر للطباعة والنشر ، ط2 ،القاهرة،2000، ص194.

(12) صبحي الصالح، دراسات في فقه اللغة، دار العلم للملايين، ط10،بيروت، 1983. ص313.

(13)ينظر : صبحي الصالح، دراسات في فقه اللغة ، ص ن.

(14) ستيفن أولمان، دور الكلمة في اللغة، ترجمة كمال بشر، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة ، ط2 ،مصر، د ت ،ص139.

(15) ينظر :أحمد مختار عمر،علم الدلالة، مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع، ط1، الكويت، 1982، ص102-103.

(16) أبو القاسم الشابي، ديوان أغاني الحياة ، مداخلة وتحقيق الدكتور إميل ،أ. كبا ، دار الجيل ، ط 1،بيروت، المجلد الأول ، الشعر ،1997 ، ص265.

(17)المصدر نفسه ، 265.

(18) المصدر نفسه، 266.

(19) المصدر نفسه، ص ن.

(20) المصدر نفسه، ص 491.

(21) محمد بن قاسم الأنباري، الأضداد، ص 334 .

(22) الشابي، الديوان ،379

(23) المصدر نفسه، ص170

(24) المصدر نفسه ، ص128

(25) مدحت سعد الجبار، الصورة الشعرية عند أبي القاسم الشابي، الدار العربية للكتاب، ليبيا، 1984، ص73.

(26) الشابي، الديوان، ص22 :.

(27) المصدر نفسه،151.

(28)المصدر نفسه، ص265.

(29)المصدر نفسه ، ص ن.

(30)المصدر نفسه ، ص100

المنارة للاستشارات

(31)المصدر نفسه ، ص 456

(32)االمصدر نفسه ، ص429.

(33)المصدر نفسه ، ص457–458.

(34)المصدر نفسه ، ص125.

(35)المصدر نفسه ، ص146.

(36) المصدر نفسه ، ص201.

المنارة للاستشارات